قربان التاريخ شهادة حية لشاعر عراقي عاش التحولات المأساوية في الحياة العراقية المعاصرة.. شهادة تأرجحت بين قيام الدكتاتورية وهيمنتها على مجمل مفاصل الحياة والفكر بقوة الحديد والنار وبين سقوط رمز هذه الدكتاتورية وصنمها.هذا الكتاب يوميات مراقبة للقمع والمصادرة والموت مثلما هو رصد لحركة الشعر والفكر. هو قراءة امتزج فيها السياسي بالشعري ، عبر يوميات قامت بوصف ، ومن ثم فهم حوادث مأساوية اشبه بفصل كابوسي من رواية دموية حدثت في عالم آخر غير عالمنا.

المدى الثقافي

قربان التاريخ
العراق، من لهب العقل الى رماد النفط

صلاح حسن

الفصل الرابع

٣

حوار مع الموت

لم تكن هذه حالتي وحدي ، فقد كان هناك اكثر من ثلاثمئة وخمسين مثقفا عراقيا يعانون من هذا الرعب في كل انحاء العالم . وربما كنت انا محظوظا لانني كنت تحت حماية الامن الداخلي الهولندي ، فهناك مثقفون عراقيون في بعض البلدان العربية لا يتمتعون بأدنى حصانة وكانوا عرضة للاغتيال في اية لحظة . اما الان فقد انتهى كل شيء بعد ان افتضحت خطة المخابرات العراقية وهرب القتلة الى حيث جاؤا . يمكنني الان ان امارس حياتي كما كنت في السابق مع قليل من الحذر . اقول .. يمكنني ان امارس حياتي من جديد ، ذلك انني كنت قد تعرضت الى تجارب عنيفة كثيرة في السابق مثل كل العراقيين وخرجت بتجربة ثرية وفريدة كانت احد مصادر الهامي في الكتابة . بمعنى اخر .. انني استطيع ان افضفض عن نفسي من خلال الكتابة بتحويل هذه التجارب المرة الى ابداع صادق وحقيقي . الكتابة في مثل هذه الحالات تعد بمثابة علاج نفسي ناجع دون الاضطرار الى مراجعة الطبيب النفسي . فالطبيب النفسي يحاول مساعدة المريض على استخراج وتفريغ كل العقد والالام والاوهام التي تفرزها التجارب المؤلمة التي عاشها المريض . لدينا مثل عراقي يقول (الضربة التي لا تقتلك تقويك) واظن ان هذا المثل ينطبق علي وعلى الكثير من المثقفين العراقيين الذين عاشوا هذه المحنة ، بدليل ان الكثير منهم عاد الى الكتابة وانجز اعمالا مهمة ومتميزة لاحقا .

قبل هذه المحنة كنت قد انجزت مسرحية (الصفعة) التي تقرر استبعادها من مهرجان المونودراما في مسرح متحف الشعوب في لاهاي مع عدد اخر من المسرحيات بسبب قلة الدعم المادي مع انها كانت المرشحة الاولى للمهرجان . لذلك عدت اشتغل بأعداد ديواني الثاني للطبع (النوم في اللغة الاجنبية - باللغة الهولندية) وكنت قد اتفقت مع الصديق الشاعر والمترجم الكبير دي روي على مراجعة المخطوطة قبل ارسالها للناشر . كنت متحمسا لانجاز ذلك بسرعة لانني كنت منشغلا بكتابة مسرحية جديدة عن الحرب بعد ان تلقيت دعوة من مؤسسة كتاب بلا حدود للمشاركة في ورشة عمل مسرحية . انهينا مراجعة الديوان وارسلناه الى الناشر الذي قال انه سيظهر في بداية شهر نوفمبر من العام القادم ٢٠٠٢ . بعد ذلك تفرغت لمسرحية (حب في اوروك) التي ينبغي عرضها في شهر سبتمبر أي قبل شهر من صدور الديوان . اثناء مراجعتي نص المسرحية التي كتبتها في العام ٢٠٠٠ اكتشفت شيئين غريبين .. الاول : ان النصوص الشعرية السومرية المكتوبة قبل خمسة آلاف سنة تبدو وكأنها مكتوبة قبل خمسة اسابيع او ستة وانها شديدة المعاصرة وجريئة في تناول الموضوع الشعري على اختلاف اغراضه . الثاني : وهو اكثر غرابة من الاول .. ان هذه النصوص ذاتها تتحدث بشكل تفصيلي ودقيق عما حدث ويحدث في العراق طيلة السنوات العشر الماضية من حروب وحصار وقتل وجوع .! ان مقولة (التاريخ يعيد نفسه) تجد تجليها الكامل في هذه النصوص التي يتجاوز عمرها خمسة آلاف سنة .

استطيع ان اقول ان النصوص السومرية بجلائها وفتنتها الخلابة ستشد المخرج والممثلين قبل الجمهور وهذا ما حدث . لم يكن المخرج يصدق ان النصوص التي بين يديه كانت قد كتبت قبل آلاف السنين . ومنذ تلك اللحظة بدأ يفتش عن ممثلين . بعد اقل من شهرين بدأت التمارين ، وكنت سعيدا لان المخرج اسند لي دورا صغيرا في المسرحية (اخر دور مثلته كان في العام ١٩٨٣) . في هذه الاثناء ارسل لي الناشر نسخة الديوان من اجل المراجعة الاخيرة قبل الطبع . اذن .. ستقدم المسرحية في الشهر العاشر ، والديوان سيظهر في الشهر الذي يليه ... ان سعادتي لا يمكن وصفها بالكلمات .

قبل عرض مسرحية (حب في اوروك) بأسابيع انتهيت من المسرحية الجديدة (عبث) التي تتحدث عن الحرب وآثارها المدمرة (وقعت الحرب بعد أربعة اشهر من كتابة المسرحية) ، وتقرر تقديم قراءة مسرحية عنها في مسرح متحف الشعوب في لاهاي مع عدد من المسرحيات التي تم اختيارها بعد نهاية ورشة العمل . كانت هذه العروض مقتصرة على النقاد والصحفيين والفنانين ، وفي النهاية تم اختيار احدى عشرة مسرحية من اصل عشرين لكي تظهر في كتاب ، كانت مسرحيتي (عبث) واحدة من المسرحيات التي تم اختيارها لتنشر في الكتاب .

بعد ايام قليلة سيبدأ مهرجان (عشرة ايام عراقية في دنهاخ) على قاعة متحف البلدية ، وانا والفريق المسرحي جاهزون لتقديم (حب في اوروك) . قبل بداية العرض بربع ساعة كنت متوترا للغاية وانا اشاهد من خلف الكواليس الجمهور وهو يتخذ مقاعده في القاعة الكبيرة التي بدأت تمتلئ ببطء على العكس مما كنت اتصور . بعد سبعين دقيقة انتهى العرض بدون مفاجآت وحقق نجاحا بسيطا فحمدت الله انه لم يفشل بهذا الفريق من الهواة الذين لم يعتلوا منصة مسرح من قبل . المفاجأة الحقيقية ستكون في الثاني من شهر نوفمبر وفي متحف رازفيك ، حيث سيكون هناك حفل توقيع ديواني الجديد (النوم في اللغة الاجنبية) وهي المرة الاولى التي يقام لي فيها حفل لتوقيع كتاب مع انني اصدرت قبل ذلك اربعة كتب . افتتح الناشر السيد ديكسترا الحفل بكلمة مقتضبة تحدث فيها عن دار النشر (بورن مير) ، ثم قدم لي النسخة الاولى من الديوان وكانت واحدة من اللحظات السعيدة جدا في حياتي .

تبادلنا الانخاب بصحة الشعر وبدأنا القراءات الشعرية .. قرأت عددا من النصوص باللغة العربية ، وقام دي روي بقراءتها بالهولندية . ولانها المرة الاولى التي اوقع فيها كتابا فقد كنت مرتبكا وحائرا وانا ارى الجمهور وهو ينتظر ان اكتب له كلمة ما على الكتاب الذي بيع منه في تلك الحفلة ثلاث وثلاثون نسخة . كانت زميلتي باشيا دي ليفده تشعر بأرتباكي وتحثني على كتابة أي شيء يخطر في بالي . لقد كانت حقا تجربة جميلة ومثيرة واتمنى ان تتكرر مع هذا الكتاب الذي بين يديكم .!

❖ ❖ ❖ ❖

كنت اريد ان اختم هذا الفصل بحفل توقيع الكتاب كنهاية سعيدة كما يحدث في بعض القصص او الافلام . الا انني تذكرت حادثا لا اعرف ماذا اطلق عليه حصل معي في بداية سنة ٢٠٠٣ وبالتحديد في منتصف يناير . كانت لدي جارة تسكن فوق الشقة التي اسكنها مباشرة ، وكانت في الشهرين الاخيرين تنظر الي نظرات هي مزيج من الاعجاب والحقد . ذات يوم طرقت بابي وقالت انني احتاج مساعدتك . جلست الى جواري قبل ان ادعوها واخذت تتكلم ببطء عن سيرة حياتها بدون مقدمات . تحدثت عن علاقاتها الزوجية والغرامية وعن حظها السيء مع الرجال . ثم قالت : انت شخص طيب ولطيف واريد ان انام معك ؟!

تراجعت قليلا الى الوراء وانا احاول ان استوعب طلبها الغريب . قلت بأرتباك .. ولكنك تعرفين ياسيدتي انني مرتبط بعلاقة ولدي صديقة وانا احبها واظنك تعرفينها جيدا .. انا آسف حقا ، لا استطيع ان اساعدك في هذا الموضوع . نهضت غاضبة وهي تغلق الباب خلفها بعنف . كنت اظن ان الموضوع قد انتهى عند هذا الحد وحاولت ان انسى الامر وكأن شيئا لم يحدث . في المساء جاءت آنا واخبرتها بالقصة فضحكت كثيرا وتحول الموضوع الى نكتة بقينا طوال الليل ننسج قصصا مشابهة له ونضحك.

في التاسعة والنصف صباحا ، وبينما نحن جالسان نتناول القهوة سمعنا طرقا شديدا على الباب ، بدأ الزجاج يتحطم .. ثم امتدت يد من الفتحة المحطمة الى الداخل وفتحت الباب ... واذا بها جارتي وهي تحمل في يدها مطرقة ، اقتربت مني صارخة وهي تلوح بالمطرقة : (اخرج من بيتي حالا) ؟ ثم توجهت نحو آنا ونعتتها بالعاهرة وطلبت منها ان تغادر البيت فورا . لم اكن اعرف كيف اتصرف معها .. غير ان آنا التي بقيت هادئة تماما طلبت منها ان تمنحنا ربع ساعة من اجل ان نجمع اغراضنا . قالت : ربع ساعة لا اكثر وعادت الى شقتها . بمجرد ان اختفت تناولت التلفون واتصلت بالشرطة واخبرتهم بما حدث . بعد قليل جاؤا وشاهدوا بأنفسهم الباب والزجاج المحطم ، ثم توجه اثنان من الشرطة الى شقتها وطلبوا منها ان تفتح الباب ، غير انها رفضت بشدة وهي تسب وتلعن . بدأ الجيران يطلون من نوافذهم بعد ان سمعوا الصراخ .

كان احد رجال الشرطة ضخما ومخيفا ، ظل يصرخ بها كي تفتح الباب ولكنها لم تفعل ، عند ذلك ذهب الى سيارة الشرطة وعاد ومعه آلة حديدية ضخمة وبدأ يحطم باب شقتها بعنف . بعد دقيقتين اخرجوها مقيدة اليدين وهي تزعق وتنتفض واقتادوها الى مركز الشرطة . شرطية اخرى بدأت توجه لي الاسئلة عن الحادث فأخبرتها بكل شيء وتفهمت الامر بسرعة ثم اتصلت بشركة البيوت من اجل اصلاح الباب وتركيب زجاج جديد لها . بعد ان ذهب الجميع وهدأ كل شيء جلست افكر بالذي حدث .. ذلك ان تهديدات المخابرات العراقية قبل سبعة اشهر قد عادت الى ذهني بقوة وعادت معها كوابيس جديدة .

مكثت جارتي شهرا في احد المصحات عادت بعده الى شقتها . كنت اتجنب ملاقاتها بعد ان تحولت في ذهني المشوش الى كابوس حقيقي اراه واسمعه واشعر بوجوده يتحرك فوق رأسي . بعد اسبوع بدأت تزعجني بالدق على السقف بقدميها او بشيء ثقيل ، خصوصا في الليل . وقد تزامن هذا الازعاج مع بدء التهديدات الامريكية بشن الحرب على العراق . عدت مرة اخرى اغلق الستائر والنوافذ واختفي في الزاوية حين اسمعها تخرج او تدخل الى العمارة . لقد تحولت حياتي الى جحيم بسبب ضغط فكرة المخابرات العراقية قبل سبعة اشهر والمصيبة الجديدة المتمثلة بالجارة المجنونة . لم اعد اطيق البقاء في البيت .. كنت اذا جلست في الحديقة الخلفية ، كانت تمد رأسها من البلكونة وتبدأ بالصراخ في وجهي (هيا ايها اللعين اخرج من بيتي) .. وكنت اذا جلست في غرفة الاستقبال بجوار النافذة ، تقف امامي وتصرخ بكلام غير مفهوم حتى قررت ان اهجر البيت ... ولكن الى اين امضي ؟

قبل سبعة اشهر طلب مني الامن الداخلي الهولندي ان لا اخرج من البيت حفاظا على حياتي .. والان علي ان اغادر البيت حفاظا على حياتي ! بدأت اشياء اشبه بالبثور تظهر في جسمي وفي باطن يدي وقدمي واخذت تنتشر بسرعة جعلتني افقد صوابي . عندما راجعت الطبيب قال انها اكزيما ! سألني ان كنت بحاجة الى مراجعة طبيب نفسي فأجبت بالموافقة على ان يزيد من كمية الاقراص المنومة لانني لم اعد اطيق ما يجري على الاطلاق واخشى ان اصاب بالجنون . وصف لي نوعا من الدهون للاكزيما وشريطين من الاقراص المنومة . كانت لهجة الحرب قد بدأت تتصاعد تدريجيا مع تصاعد جنون جارتي الحمقاء . وكانت حالتي النفسية تتدهور . هكذا بدأت اغلق اذني بالقطن وفمي بالحبوب واحاول ان انام .

كتاب السفر

خارج المدى

طالب عبد العزيز

تعالي نقرأ معاً إدوارد الخراط ، أنت راما والتنين وأنا الزمن الآخرَ، أنت ترابها زعفران وأنا رقرقةَ الأحلام الملحية.. هكذا حتى ينقضي البحر من حولنا وتتكسر المرايا ،ويؤوب الزمن .

لم تكن الطائرة قد أقلعت بك حين حملت حقيبتي تجاه الريح، لم تكن الأرض مدورة تحت جناحيك حين دارت بي في صحراء العرب الرطبة، ولم يكن البحرُ كاملا قبل وصولك إليه ،ولم يكن الموجُ مستعداً إلا لقدميك وهما يخبطان الساحل الغريب ، تحت الشمس الخليجية التي تنطفئ باكرا على الرمل . فكوني قرصاً من قمر ساقط في اللجّة، أو كوني لجّة هذا النأي، يا سيدة الوهاد والسهول والأقاصي.

هكذا، رحت أكتشف معكَ ما يتمظهر من الجسد الرافديني العذب، رحت أسمّي وديانه ومراعيه، أرسم خرائطه البكر على يديك مرة.. وعلى قدميك مرة أخرى ، على مرآة الفندق المضببة وصفحة الكتاب في أصيص الزهر حيث ينمو ويشرئب عطرك الأبدي،إلى جوار لحظة البرد وهي تقشعر يقظة عند قمصانك وسراويلك. وباذخاً رحت أحيي تمرغ النور على فساتينك ، وهو يلتئم صامتاً تحت جفنك الندي السهران. ومعك.. معك رحت أبحث عن بطاقة السفر وتذكرة المحطات، تأشيرة الحدود،وعن قرطك الضائع تحت قائم السرير ذاك المحشو همساً وحكايات، أبحث معك في عيون رجال المخافر الليليين عن اسمك اللاصف في البرد ، وتركبني مثلك نظارات المفتش وهي تتقلب في فضاء حقيبتك الصغيرة، تبحث عن سرّ ضجرك وتقلبك في الطابور،وكأيٍ من سعاة الصحارى رحت أومئ عنك له ، أفهمه أن لا أحد معك في قميص النوم، وهكذا رحت اسمّي له أشياءك واحدا واحدا وقلت له أنت كما أنت على الإسفلت أو على العشب .. في بغداد أو البصرة، أوفي العواصم المنغلقة على عروبتها.. ولا شيء في عينيك تينك الماسيتين، وهذا القميص الباذخ الرخص لا ينطبق على أكثر من يمامتين تفران في الليل وتسرحان في النهار ، وكل ما فيه من العذوبة خالص له، ليس لأحد سواه، ، فلا تحفل أيها البدوي بأكثر من نجمة على كتفك وهذه الحقائب فارغة إلا من قصائد لن تكتمل، كتبتها امرأة جاءت من خطأ في تذكرة، في باص، في محطة قطار في أقنوم خارج المصادفات، من بلاد لم يكتمل بهاؤها بعد ، وشوارعها مركبات وأجساد ورصاص يتطاير ، أطفالها لا يكبرون ولا يصغرون .. فقل لي من أي البوادي أنت؟ ومن أي الفلوات سقت ضواريكِ لترتطم علناً بالجسد الأخضر المنهمر نخلاً وضفافا...

قوافلك تترى ،وجرابيعك تنهمر، وهذا القفر مصحف واقف بيننا،أنت تقرأ وتتلوى ودمي يسيل ،اتراك سترتوي وهذا زمن يؤرخنا معا ،أنت بتراتيلك وحروف مدك ومهموساتك وأنا بلحمي الصاعد في الفضاءات، فقل من يصعد للرب أولاً صوتك أم دمي.

أقول.. تعالي ندخر بردا وحكايات لليالينا القادمة، ولندع الأفق ينغرس بيننا طلا وخزامى ، أوندع الكتاب ينصفه نصل ريشة، طاووس يستيقظ على قطرة مطر، أو ابتسامة فجر، تعالي نفاجئ جسدينا بسرير مفرد من هذا الليل، سرير بعشر وسائد لاطفال نبتكرهم سرا .. لعلي ..لعلك ..لعل أساورك تضيع ثانية،أو يسقطها طفل وهمي تسلل سراً إلى مرتبة نومك، وعبث بأدراج غرفتك في الطابق الألف على البحر، سحب شرشفاً أو أزاح ستارة .

هذا الارتباك باد عليك،شعرك منهمر حزين وضائع وأقراطك ضائعة أيضاً،أكان حلم البارحة مزعجا ؟ هل سقط ثوبك على عتمة الأشياء وأختفى ؟ أم هو كذلك ؟منذ أن ضممته عليك ؟وظل صامتا يائسا !ألا لست ملاكا من قال لك هذا ؟ أنا حزين حقا بل اكثرمن محطم ،مثلك لكني اعرف ما يتكسر من هذا الليل في أنفاسك ، وتوحشني أصابعك القصيرة الباردة .. لكن صدقيني اقدر ان أنحشر في قلم ، أو أتمدد في جسر، انهمر من غصن وبلمسة من يدي الظمأى أعيد لك كل شيء... القرط الأكذوبة والأساور التي لم يبعها لنا ألمجوهراتي في بغداد، الأحلام الموعودة، أعيد الذهب والمخمل واللحاء وقطيع التساؤلات، أعيد الأزرار والسحابات أرتب الحقائب ومشابك الشعر أعيد انتظام الستائر وبرانص الحمام، وفي كل قبلة أسمع بحراً يرتطم وأرى ظبياً يولد، قصيدة تنشد. الآن أحتفي بطفولتك ولعبك، وأنثر في الريح قمصانك.

((الضيف))

جاسم عاصي

١/ دخول ..

سرعان ما إنقاد نحو مستقره ، دونما مقاومة أو إعتراض . كانت رحلة طويلة جداً ، بدا وسطها مثل بندول يدور حول نفسه ، إذ تعود الإنتقال والتغيير ومطالعة الوجوه المتوزعة . يصغي ثم يصغي ، وبمرور الزمن صار إصغاؤه لا يفضي إلى شيء ، فهو لا يسمع ما يجب ، بل يدرك ما يحرك أحاسيسه التي بدت مثل الجليد المتراكم . فقط يوزع نظراتهِ من حولهم ، ومن فوق الأشياء . ثمة شيء يتلاشى من رأسه ، يبدو نائياً ، حيث يذوب كحبة ثلج . ولحظة أن طُلب منه إعداد أشيائه ؛ كانت إستجابته كما لو أنه يتناول طعامه كسائر الأيام . وعند دخوله البيت إستقبلوه بإنفعالات لم يعترض عليها ، ولم تكن له القوة على التعليق . كل الذي فعله ؛ أنه وزع نظراته حولهم ، متفحصاً هيئاتهم وتوزعهم كانوا مندهشين منه ، ينظرون ببرود واضح لكن نظراتهم ملغومة بالأسئلة .

٢/ إغفاءة ..

كعادته في الأيام والسنين الخوالي ، إستسلم للنوم ، وهم بإنتظار إستيقاظه . غرق في ملكوته أكثر ، حتى ظن الجميع أنه قد فارق الحياة كما سمعوا عن بعضهم ، لولا حركته المفاجئة ، لحظة فتح عينيه على النور الذي ملأ بؤبؤيهما ، فركهما بكفيه ؛ لاحظ بضع صبيات وصبية يتحلقون حوله ، أدرك من بينهم زوجه التي إبتسمت له ، بينما نشر نظراتهِ على الباقين ، متفحصاً إياهم بإندهاش ، لحظتها عرف أنه إبتعد كثيراً عن مكانه الذي طال مكوثه داخله ، وأنه أمام مكان وأشياء جديدة ، قال :

ـ هل تحولتم من بيتكم السابق ..؟؟

حدقت به الزوجة بإسى ، قالت :

ـ بل غيرنا مدينتنا كما ترى .

لكن تداخل في رأسه هاجس مردداً لنفسه ، وهو يقلّب ؟الصور .. آه لو تعلم كم عدد الأماكن التي تحولت نحوها ، بينما شعرت الزوجة بالهاجس المر ذاته مرددة .. صار تحولنا من مكان إلى آخر فخاخاً ينصبها لنا أصحاب البيوت وسماسرة العقارات ..

٣/ إدراك ..

وهو يحدق بالجميع ، شغلته حالة الهدوء التي تحلت بها الصبيات فاستقر في نفسه شعور غامض ، ثم إتسعت رؤيته بإتجاهين وهن ينظرن إليه مثل قطط حذرة ، وهو يحاول إجتياز منطقة غامضة . وحين وصلت ألأم .. قال :

ـ من تكون تلك الصبية ..؟

قالت :

ـ إنها إبنتك ، واحدة من التؤام الذي ولدته بعد فقدانك .

ـ وهل ولدت توأماً ..؟؟

ـ نعم توفيت إحداهما ...

ـ ياللأسف ، وهل كبرت هكذا ..؟

ـ ودخلت المدرسة وهي الآن تتقدم في الدراسة عكس الأولاد .

ـ وأين سميرة ..؟

ـ لقد تزوجت ....

ـ الحمد لله ، وهل أعرف زوجها ..؟

ـ لا أعتقد ، لكنه إنسان طيب ستتعرف عليه .

ـ وبقية الصبية والصبيات ..؟

ـ إنهم أبناؤك هل نسيتهم ..؟؟

ـ كلا ، بل فارقتهم صغاراً كما تعلمين .

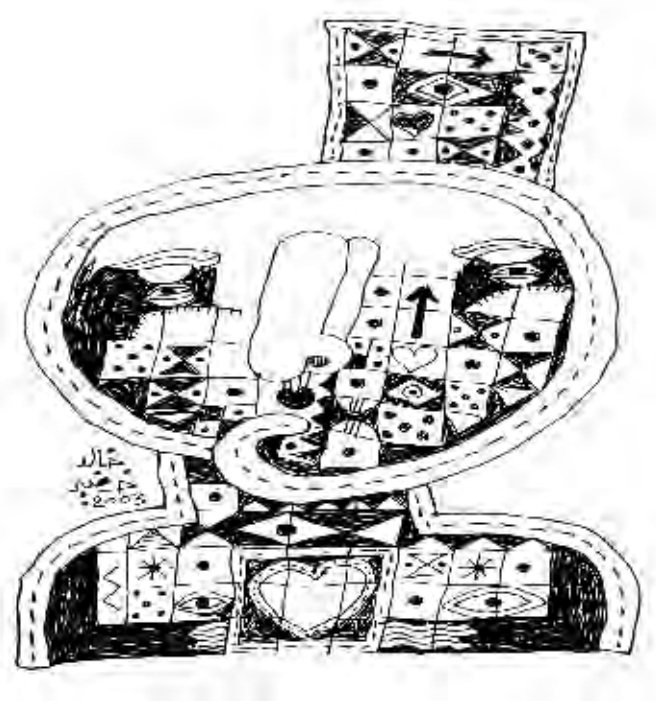

إلتقت نظراتهما ، داهمهما الصمت ، كما في كل يوم . حاولا الشروع بالحديث عن السنين الخوالي الثقيلة .الليالي الموحشة بالنسبة إليه ، وفراغها بالنسبة إليها .

٥/ إعتياد ..

تواصل مع ما إستجد في حياته ، ثم أخذت معارفه تتسع أمام تشكيلة

٤/ حوار ..

ـ لقد عانيتِ كثيراً ياأم علي .

ـ بل أنت من عانى هناك .

ـ كنت مشغولاً بكم ، ولكن بمرور السنين والإنقطاع وظروف الأسر القاسية تلاشى كل شيء

أحس أنه مازال يكبت شيئاً ولا يفرط في البوح به ، متلمساً رقبته ، إنها تؤلمه . أخرج من جيبه علبة الدواء ، فتحها ملتقطاً حبة منها . دفعها داخل جوفه على عجل ، والزوجة تحدق فيه بإسى دون أن تتفوه قال :

ـ كم كانوا قساة معي، شرسين كالحيوانات المتوحشة ..

قالت :

ـ حدثني عن كل شيء.

ـ عن ماذا أحدثك ..؟ ومن أين أبدأ ؟ الحكايات كثيرة وطويلة وذكرها مرير . بل حدثيني أنتِ

ـ بلواك أكبر من بلواي .

ـ لا أدري من إبتلى منا ، ولكني أعتقد أننا ذقنا المرارة سوية كالآخرين .

٦/ مفارقة ..

تراكمت الأيام وهو مسور بالإحساس ذاته من الوحشة والغربة بينهم ، سيما ما لاحظه على أولاده الموزعين مع الأيام ، واللاهثين وراء لقمة العيش والمنطوين على أسرار لا يعرفها . وكلما تمادت الأيام بالجريان تراكمت مثل هذه الدهشة ، خاصة أن حالة الإنبهار بعودته أخذت بالإفول والتلاشي ، حيث وجد نفسه متروكاً في زاوية من البيت ، لا همَ له سوى النظر من حوله . وترسبت في قاعه مشاعر مليئة بالخيبة . كل ما يدور حوله على غير ما يدرك ، إذ وجد صعوبة في الوصول إلى ما يحل مشكلة كهذه . بدا مؤرقاً في الليالي الطويلة وهو ينتظر عودة ولده (علي) . كان يتأمله في الصباح أثناء الفطور ، ولا يستطيع السؤال عن تأخره في الليل . لكنه إضطر الى أن يسأل زوجه عن ذلك ؛ فكان الجواب فيه فسحة من الحث على عدم التدخل في حياتهم ، فالحياة هكذا أصبحت ، ومن الصعب تغيير حركتها وجريانها . وحين كرر السؤال ؛ أجابت بمرارة من تراكمت في نفسها الخيبة ، لأنه إعتاد السهر مع أقرانه ، مثلما إعتدت أنا العمل في النهار لإعالتهم .

٧/ خروج ..

في الصباح ، لاحظ أنه يختلف عن كل الصباحات . لم يسأل عن شيء . تناول فطوره وجلس ريثما خرجت زوجه إلى السوق كعادتها كل يوم . ثم تسرب الجميع عنه . أطفأ سيجارته متجهاً إلى خارج المنزل . ولحظة مغادرته إصطفق الباب خلفه محكماً إياه ، مولياً وجهه نحو مداخل المدينة التي لا يعرف عنها شيئاً ، ولم ترد بباله أن يضع علامة يستدل بها أثناء عودته إلى البيت ، وإنما ترك قدميه تنهبان المسافة على عجالة ، ودون هدى واضح .